علم الآثار وبيان المنهج الإسلامي

إعداد

د. عمر بن محمد بن عثمان العمر

مقـــدمـــة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمراسلين وبعد :-

فـــإن علم الآثار والعناية بدراستها وتدريسها وافتتاح المعاهد والأقسام الدراسية في الجامعات لها يعتبر من الأمور التي استجدت في هذا العصر ولما لهـــذا العلـــم مـــن ارتباط وتأثير في العقيدة باعتبار الأهداف التي تمكن وراء دراســـة وأحـــياء وتعظـــيم هذه الآثار القديمة التي هي إحدى دسائس أعداء الإسلام وفي ذلك يقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله .

ومـــن دسائس هذه المنظمات الفكرية دعوتها إلي إحياء الآثار القديمة والفـــنون الـــشعبية المندثرة حتى يشغلوا المسلمين عن العمل المثمر بإحياء الحضارات القديمة والعودة إلي الوراء وتجاهل حضارة الإسلام ، وإلا فما فائدة المـــسلمين من البحث عن أطلال الديار البائدة ة والرسوم البالية الدراسة وما فائدة المسلمين من إحياء عادات وتقاليد أو ألعاب قد فنيت وبادت في وقت هم أمـــس الحاجة إلي العمل الجاد المثمر ، وقد أحاط بهم أعداؤهم من كل جانب واحتلوا كثيراً من بلادهم وبعض مقدساتهم .

إنهم في هذه الظروف بحاجه إلي العودة لأي دينهم وإحياء سنة نبيهم ، والاقـــتداء بسلفهم الصالح حتى يعود لهم عزهم وسلطانهم ، وحتى يستطيعوا الوقـــوف على أقدامهم لرد أعدائهم ، وأن يعتزوا برصيدهم العلمي من الكتاب والـــسنة والفقه ،ويستمدوا من ذلك خطة سيرهم في الحياة ، ويقرؤوا تاريخ أسلافهم لأخذ القدوة الصالحة من سيرهم .

أمـــا أن ينـــشغلوا بالـــبحث عـــن أثار الديار ، وإحياء الفنون الشعبية بالأغاني والأسمار ، إقامة تحاكي العادات القديمة ، فكل ذلك مما لا جدوى فيه،

وإنمـــا هـــو اســـتهلاك للـــوقت والمال في غير طائل ، بل ربما يعود بهم إلي الوثنية،،و العوائد الجاهلية . (١)

وقد أجبت أن أتناول هذا الموضوع لما له من أهمية من خلال ما يلي :

الفصل الأول : وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الآثار لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : نشأة علم الآثار.

المبحث الثالث : المقصود بتعظيم الآثار وعلاقة ذلك بالعقيدة.

المبحث الرابع : بيان الاهتمام بالآثار من عادة غير المسلمين .

الفصل الثاني : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسباب الافتتان بالآثار .

المبحث الثاني : أثر الدعوة إلي تعظيم الآثار علي الأمة الإسلامية .

المـــبحث الثالث : منهج الرسول صلي الله عليه وسلم ومن بعده وموقفهم من الاهتمام بالآثار .

ثم الخاتمة .

هـــــذا وأسأل الله التوفيق والإعانة .

** ** **

---

(١) الخطب المنبرية (٣/٨٥-٨٦) .

الفصل الأول

ويشتمل علي أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الآثار لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني :نشأة علم الآثار .

المبحث الثالث :المقصود بتعظيم الآثار وعلاقة ذلك بالعقيدة .

المبحث الرابع : بيان الاهتمام بالآثار من عادة غير المسلمين .

المبحث الأول : تعريف الآثار لغة واصطلاحاً

تعريف الأثر :

الآثار جمع أثر، والأثر بقية الشيء والجمع أثار وأثوار ، والآثار الإعلام واحده الأثر ، والأثر العلامة المنطبعة مطلقاً [١].

تعريف الآثار لغة واصطلاحاً .

الهمزة والثاء والراء ، لها ثلاثة أصول : تقديم الشيء – رسم الشيء – رسم الشيء الباقي .

فالأول : وهو تقديم الشيء: كأن تقول افعل يا فلان هذا آثراً ما ، آي : إن اخترت ذلك الفعل فافعل هذا إما لا قال ابن الإعرابي ، معناه افعله أول كل شئ .

والثاني : وهو ذكر الشيء : ومنه قول ابن عمر ــ رضي الله عنها –ما خلقت بعدها آثراً ولا ذاكراً " فقوله آثراً : آي مخبر عن غيري أنه حلف به .

والثالث : وهو رسم الشيء الباقي : قال الخليل : والأثر بقية ما يري من كل شئ ، وما لا يري بعد أن تبقي فيه عقله .

---

(١) لسان العرب ، مادة (أ ث ر) (٤/٥) .

والآثـــار والأثـــر ، كـــالفلاح والفلح ، والسداد والسدد ، قال الخليل أثر الـــسيف ضـــربته ، وتقـــول : من يشتري سيفي وذا أثره ، يضرب للمجرب المختبر (١) .

وقال الأصفهاني : أثر الشيء حصول ما يد لعلي وجوده .

يقـــال أثـــر وإثر ، والجمع الآثار ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ غافر: ٢١ ، وقـــال تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ الحديد: ٢٧

ومـــن هـــذا يقـــال للطـــريق المستـــدل به علي من تقـــدم : أثـــار ، نحـــو قولـــه تعالى : ﴿ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ الصافات: ٧٠ ، وقولـــه تعالـــى ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ طه: ٨٤ (٢)

وتعريف الآثار اصطلاحاً عند أصحاب هذا الفن :

هي مخلفات الأبنية والعمائر القديمة كالمقابر والمعابد وغيرها أو هي ما خلفه السابق للاحق .

** ** **

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة (أ ث ر) (١/٥٣) .

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ، مادة (أ ث ر) ص (٦٢) .

المبحث الثاني : نشـــأة علـــم الآثـار

وعلـــم الآثـــار هـــو ذلـــك الفـــرع من دراسة التاريخ الذي يعني بدراسة المخلفات لمادية والحضارية لماضي الإنسان ،وقد نشا علم الآثار ونشأة بطيئة متـــنوعة ، وأول مـــا نشأ كان مجرد كشوف وجهود فردية مثل التعرف على أطـــوال بلدان الشرق العربي والعراق والشرق الأدنى عن طريق السياح للبلاد الشرقية (بلاد المسلمين) منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، ولعل أقدم الرحالة هو السائح اليهودي (بنيامين التطيلى) في عام ١١٦٠م وقد جاء من الأندلس وزار فلـــسطين ،وانتهـــي به المطاف إلي العراق وتكلم عن أحوال اليهود في العراق ثم وصف ما شاهده من بقايا الأطلال المشهورة في المدن القديمة مثل (بابل) وغيرها .

ثـــم تـــرجمت رحلته إلي الفرنسية والإنجليزية وأثارت كثيراً من الرحالة والباحثـــين ، حـــيث تـــتابع الرحالة المهتمون بعده منهم طيب ألماني واسمه (رادولـــف) فـــي القرن السادس عشر ثم أول القرن السابع عشر جاء الرحالة الإيطالـــي (بتـــرود يلافالـــه) وزار (بابـــل) وأور [١] ، واصطخر والعاصمة الفارســـية القديمة)واخذ منها نماذج من الكتابات المسمارية ، ثم بدأت أعمال التنقـــيب عن الآثار في إيطاليا بناءاً علي أوامر ملكة نابولي بحثاً عن تماثيل تـــزين بهـــا قصرها ،فوجد نتيجة لذلك مدينتين مدفونتين هما بومي الإيطالية وهو كو لانيوم وذلك عام ١٧٣٨م.

وبفضل الكشف عن هاتين المدينتين بدأ العمل المنظم في البحث والكشف عـــن أثـــار الحضارات الأخرى القديمة في اليونان ومصر وسوريا وفلسطين واســـيا الـــصغرى وغيـــرها من الأمصار ، ثم بدأت الإرساليات الأكاديمية من المؤسسات العلمية الأوربية تتوالي تباعاً إلي العراق وغيرها للكشف والتنقيب خـــصوصاً بعد دفع هذه المؤسسات بأغراض سياسية وتجارية ، وكان اهتمام

---

(١) طرق البحث العملي في التاريخ والآثار ، د.طه باقر .

هذه المرحلة منصباً علي استخراج التماثيل والألواح الحجرية المنحوتة ونقلها إلـــي مـــتاحف أوروبا [١] ، ولما أشك القرن التاسع عشر علي الانتهاء بدأت مـــرحلة التنقيبات الأثرية العلمية إن صحت التسمية علي يد البعثات الألمانية وذلك عام ١٨٩٩ ، ١٩١٧ .

وكـــذلك الحملة الفرنسية علي مصر بقيادة نابليون بونابرت حيث بدأت أعمالها فور دخولها مصر [٢] .

ثـــم تكـــونت فـــي بلـــدان العالم الإسلامي هيئات للآثار يتولاها أبناؤها وتستعين تلك المصالح بالأجانب الذين كانوا يباشرون العمل والقراءة والتفسير والتحليل للمعاني التاريخية والعقدية والأخلاقية والتعبدية [٣] .

مـــن هـــنا يمكـــن القـــول أن علـــم الآثار هو مولد حديث في مقابل – اركيولوجيا – فرع علمي يعني بدراسة الأبنية والنقوش والتصاوير والكتابات ويتكون من عدة محاور .

محور أدبي : وغرضه فك رموز النقوش .

محور صناعي :وغرضه دراسة صناعات القدماء .

محور معاشي : وغرضه دراسة أساليب العيش والحياة ونظام الحكم والأدوات

وأخيـــراً بـــشرى :وغرضه دراسة التفاعل الإنساني بالبيئة في الماضي ونظم الحكم . الخ [٤]

---

(١) الأمر في التنقيب من الآثار ، د. فوزى الفخراني ، ص (١٤١) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١٤٣) .

(٣) التاريخ الموجز لعلم الآثار ، جلف دانيل ، ترجمة عنها سياسية أحمد ، نقلاً من تعظيم الآثار والمشاهد .

(٤) معجم المصطلكي الأثرية ، ص (٦) .

المبحث الثالث : المقصود بتعظيم الآثار وعلاقة الموضوع بالعقيدة

إن الإنسان إذا وقف أمام الأثر تصاغر وشعر أن له قيمة ومكانة عالية تستحق الانكسار وهذا بداية الخضوع لها وتقديسها وإعطائها قدراً أكبر مما تستحقه ثم يتدرج الخضوع والانكسار في النفس التي تشاهد هذا الأثر إلي أن يتحول إلي عبادة لها .

علاقة الموضوع بالعقيدة :

إن دراسة هذا الموضوع من باب سد الذرائع المواصلة إلي الشرك فقد نهي النبي ﷺ عن الصلاة إلي القبور وعن الجلوس عليها ، ولعن اليهود والنصارى لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد وحذر من الصور ، وغير ذلك من الأمور التي تعتبر ذرائع إلي الشرك ومن هذا الباب تعظيم الآثار .

فإن العناية بآثار الأمم البائدة ونبشها وتعظيمها هو من إحياء سنن الجاهلية فعن عباس أن النبي ﷺ قال ابغض الناس إلي الله ثلاثة ملحد في الحرام ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ بغير حق ليريق دمه [١] .

وعليه فإن آثار الأمم من معبودات وصور وتماثيل ومشاهد وأخلاق وعبادات لم يقرها الإسلام ، إنما هي سنن الجاهلية وإن نبش الآثار الجاهلية في بلاد المسلمين إنما هو مبتغ في الإسلام سنة جاهلية وانه من ابغض الخلق إلي الله [٢] .

---

(١) البخاري (٦٣٤٧) الفتح (٢١٩/١٢) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص (٧٥-٨٠) .

المبحث الرابع : بيان الاهتمام بالآثار من عادات غير المسلمين

من المعلوم أن الدول الغربية هي التي شجعت علي ظهور الاهتمام لتحقيق مطامعها في الشرق الإسلامي .

فهـا هـو "جب " يقول بصراحة تامة :"وقد كان أهم مظاهر فرنجة العالم الإسـلامي تنمـية الاهـتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي إندونيسيا وفي العراق وفي فارس وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها .

وهذا التصريح يعلل لنا عطف حكومات الاحتلال الغربية علي كل مشاريع الحكـومات الوطنية في الشرق الإسلامي - والعربية منهم خاصة - التي من شـأنها تقـوية الشعوبية فيها ، وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديـدة - مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم علي الإسلام لتلاميذ المدارس وأخـذهم بتقديسه والاستعانة علي ذلك بالأناشيد ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التي تلقي قلوب المسلمين ومشاعرهم علي الاحتفال بها ، ومثل العـناية بتمييز كل من هذه البلاد بزي خاص - ولاسيما غطاء الرأس - مما يتـرتب عليه تميز كل منها بطابع خاص ، وبعد أن كانت تشترك في كثير من مظاهرة [١] ، وحتى يحصل لهم ما يريدون ، ويتحقق لهم ما يشتهون "أعانت الـدول المحـتلة ـكلاً فـي منطقة نفوذه ـ علي تدعيم قداسة هذه الأوطان الجديدة في نفوس الناس بأسلوب علمي منتظم ، وذلك بمساعدتها علي إحياء الـتاريخ القـديم بكـل قطـر مـن هذه الأقطار ونشط الحفر للبحث عن آثار الحـضارات القديمـة السابقة علي الإسلام في كل من العراق وسوريا ولبنان وفلـسطين وشـرق الأردن ومـصر ، لتوهن عري الجامعة العربية ولتشتيت القلوب التي ألف بينها علي الإسلام وجمعها علي لغة واحدة .

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١٤١/٢) د. محمد حمد حسين

فاستيقظت العصبيات الجاهلية ، وراح كل بلد يفاخر الأخرى بمجده العريق وشغلت الصحف بالكلام عن الكشوف الأثرية الجديدة وما تدل علية من حضارات البابليين والآشوريين والكلدانيين والحيثيين والفينيقيين والفراعنة وكانت أصابع الغربيين واضحة في هذه الجهود ، فقد عاش المسلمون دهوراً وهم غافلون عن كل الآثار القديمة لا يعيرونها التفافاً ولا يتحدثون عنها حين يتحدثون عن قوة الكفرة أو العتاة، لا يثير الحديث عنهم شيئاً من الحماس أو الزهور في نفوسهم ، وظلوا علي هذه الحال حتى بدأ الغربيون بالكشف عن كنوزهم ولفت أنظارهم إليها منذ اتجهت مطامعهم إلي بلادهم ، وللأوروبيين في ذلك أسلوب خبيث ماكر يبدأون التنقيب ببعوث من علماء الآثار الغربيين ، حتى إذا حققوا ما يهدفون إليه من اهتمام كل بلد من هذه البلاد بتراثه القديم وتحمسه له وغيرته عليه ، ورأوا أن هذه الغيرة تدفعه إلي منافسة الأجانب في هذا الميدان الذي يعتبر نفسه أولي به وأحق ، بوصفه وارث هذه الحضارة ، عند ذلك يتخلوا عن مهمتهم ويتركونها في رعايته مطمئنين إلي أنه سيوالي السير في الخطوط التي رسموها له [١] .

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر (٢/١٣٧/١٤٠) .

الفصل الثاني

ويشتمل علي ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسباب الافتتان بالآثار .

المبحث الثاني : أثر الدعوة إلي تعظيم الآثار علي الأمة الإسلامية .

المبحث الثالث : منهج الرسول ﷺ ومن بعده ومواقفهم من الاهتمام بالآثار

المبحث الأول : أسباب الافتتان بالآثـــار

إن الله تعالـــي أرســـل الرســـول ، وأنـــزل الكتب تبياناً لأهم قضية خلقت الخلائـــق مـــن أجلهـــا ألا وهي قضية التوحيد والنهي عن الشرك ، وقد ركز القـــرآن والـــسنة في بيان هذه القضية ووضحها غاية الإيضاح ، وبينها غاية البيان حتى غدت من ضروريات هذا الدين التي يمكن جهلها ، ولكن لما اشتدت غربة الإسلام وتباعد عصر النبوة ، انتشر الشرك في الأمة وعظم الخطب في آثـــار الأنبـــياء والـــصالحين ، وأصـــبحوا يعتقدون فيهم الاعتقادات الباطلة ، والخرافات الساقطة ، فلما كان ذلك كذلك احتاج الأمر إلي دراسة الأسباب التي جعلـــت الكثيـــر من أفراد الأمة يفتنون في مثل هذه الآثار ، حتى يتم علاجها وإيجـــاد الحلول المناسبة لهذه القضية الجلل" لأن معرفة المرض وسببه يعين مداواة وإزالة شبهاتهم "[1] وهذه الأسباب متفاوتة من جهة تأثير على الناس ومـــتعددة ، وســـأذكر – إن شاء الله تعالي – بعض هذه الأسباب مقدماً الأهم فالأهم ، فأقول – وبالله التوفيق :

السبب الأول : الجهل بحقيقة هذا الدين :

لقـــد كـــان الـــناس قبل البعثة في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، حتى جاءهم بمن أخرجهم من ظلمات الجهل ، إلي نور العلم ، جاءهم خاتم الأنبياء محمد صلي الله علية وسلم جاءهم ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴿لَقَدْ مَنَّ

---

(١) الرد على البكرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص (٨٠) .

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤ ، فما مات ﷺ حتى بلغ الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة وتركها علي المحجة البيضاء ،ثم قام أصحابه بتبليغ رسالته لمن بعدهم فكانوا أعلم الناس بنبيهم ﷺ ثم حمل عنهم العلم من بعدهم وهكذا كل جيل يحمل العلم عن سلفه ، وفي هذا كله لا يزال العلم ينقص ، ويكثر الجهل كلما امتد الزمان ، وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ:"يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن "[١]

وقد حصل بالفعل ما أخبر به النبي ﷺ فقد انتشر " الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ، بل جميع الرسول من تحقيق التوحيد ،وقطع أسباب الشرك ، فقل نصيبهم ، ودعاهم الشيطان إلي الفتنة ، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته، فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل ، وعصموا بقدر ما معهم من العلم " [٢] بل وصل الأمر عند بعض دهماء الأمة إلي جعل المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، ولذا يقول ابن القيم – رحمة الله – : " قد غلب الشرك علي أكثر النفوس لظهور الجهل ، وخفاء العلم ، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ،ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، وطمست الأعلام ، واشتدت غربة الإسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء ، ولكن مع هذا لا تزل طائفة من العصابة المحمدين بالحق قائمين ، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلي أن يرث الله ــ سبحانه ــ الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين "[٣] .

وقد بين ابن الجوزي – رحمة الله – أن " الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس علي الناس هو الجهل ، فهو يدخل منه علي الجهل بأمان ، وأما العالم

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب العلم ، ح /٨٥ مسلم في كتاب العلم ، ح /١٥٧ .

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢١٤) .

(٣) زاد المعاد ، (٣/٥٠٧) .

فلا يدخل إلا مسارقة [١] " . وقال القرافى المالكي " .. أصل كل فساد في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل ، فاجتهد في إزالته عنك ما استطعت ، كما أن أصل كل خير في الدنيا والآخرة إنما هو العلم ، فاجتهد في تحصيله ما استطعت والله ــ تعالي ــ هو المعين علي الخير كله "[٢] .

وهذا الجهل الذي وقعت به الأمة ناتج ــ والله أعلم ــ عن أمرين :

الأول : الإعراض عن الكتاب والسنة تعلماً ،وتدبراً وتفهما لما فيهما :

فمــن أعرض عن السنة اشتغل بالبدعة ، " وأما من أصغي إلي كلام الله بقلــبه وتدبــره وتفهمه أغناه السماع الشيطاني الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وينبت النفاق في القلب ، وكذلك من أصغي إليه إلي حديث الرسول ﷺ بكليــته ، وحدث نفسه باقتباس الهدي والعلم منه لا من غيره أغناه عن البدع والآراء والتخرصــات والــشطحات والخــيالات التــي هي وساوس النفوس وتخيلاتها ، ومن بعد عن ذلك فلابد له أن يتعوض عنه بما لا ينفع ،كما أن من غمــر قلــبه بمحبة الله ــ تعالي ــوذكره ، وخشيته، والتوكل عليه ، وأغناه أيــضاً عــن عــشق الــصور ، وإذا خــلا من ذلك صار عبد هواه ،أي شيء استحسنه ملكه واستعبده

فالمعرض عن التوحيد مشرك ، شاء أم أبي ، والمعرض عن السنة مبتدع ضــال ، شــاء أم أبي والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " [٣].

الثانــي : أنهم حملوا نصوص الكتاب والسنة علي أناس قد مضوا ، وأما هــم فغير مخاطبين بهما ، وهذا ما يتصوره أكثر الناس ، (حيث) لا يشعرون بدخــول الواقع تحته ،وتضمنه له ، ويظنونه في نوع وفي قوم خلوا من قبل ولــم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر

---

(١) تلبيس إبليس ، ص ١٣٠ .

(٢) الفروق (٤/٢٦٥) .

(٣) إعانة اللهفان (١/٢١٤) بتصريف يسير ..

الله إن كـــان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتـــناول القـــرآن لهم كتناوله لأولئك ،ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : " إنما تنقض عري الإسلام عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية " ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابة القرآن وذمه وقـــع فيه وأقره ، ودعا إليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه هو الذي كان علـــيه أهل الجاهلية أو نظيرة أو شر منه أو دونه فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه .." (١)

وقال الشيخ عبد اللطيف بن الطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – رحمـــة الله – : "..ومـــن الأسباب المانعة عن فهم كتاب الله أنهم ظنوا أن ما حكـــي الله عن المشركين ، وما حكم عليهم ووصفهم به خاص بقوم مضوا ، وأناس سلفوا وانقرضوا ، ولم يعقبوا وارثاً ،وربما سمع بعضهم قول من يقول مـــن المفـــسرين : هذه نزلت في عباد الأصنام ، هذه في النصارى ، هذه في الـــصابئة، فيظن الغمر أن ذلك مختص بهم ، وأن الحكم لا يتعداهم ،وهذا من أكبر الأسباب التي تحول بين العبد وبين فهم القرآن والسنة "(٢)

السبب الثاني : علماء الضلال :

وهـــؤلاء ابتليت الأمة بهم حتى وصل الأمر ببعضهم كما قال شيخ الإسلام أنهم :"يصنفون لأهل السيف والمال من الملوك والوزراء في ذلك ، ويتقربون إلـــيهم بالتـــصنيف فـــيما يوافقهم .." (٣) وهؤلاء الذين صنفوا هذه الكتب لهم أغراض فاسدة ،منها التقرب إلي الأئمة ، ومنها إضلال الأمة .

وقال شيخ الإسلام أيضاً في موضع آخر :

"وهذا إنما ابتدعه وافتراه في الأصل قوم من المنافقين والزنادقة ليصدوا بـــه الـــناس عن سبيل الله، ويفسدوا عليهم دين الإسلام ، وابتدعوا لهم أصل

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٣/٣٤٤) .

(٢) تحفة الطالب والجليس في كشف داود بن جرجيس ، ص ٥٩–٦٠ .

(٣) الاستقامة (١/٤٣) .

الشرك المضاد لإخلاص الدين لله .. ولهذا صنف طائفة من الفلاسفة الصابئين المشركين في تقرير هذا الشرك ما صنفوه ، واتفقوا هم والقرامطة الباطنية علي المحادة لله ورسوله حتى فتنوا أمما كثيرة وصدوهم عن دين الله .. وأقل ما صار شعاراً لهم تعطيل المساجد وتعظيم المشاهد ، فإنهم يأتون من تعظيم المشاهد وحجها والإشراك بها ما لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ ، بل نهي الله عنه ورسوله عبادة المؤمنين : وأما المساجد فيخربونها ، فتارة لا يصلون جمعة ولا جماعة بناء علي ما أصلوه من شعب النفاق ، وهو أن الصلاة لا تصح إلا خلف معصوم ، ونحو ذلك من ضلالتهم .." [١] وبهذا تعرف مدي تأثير هؤلاء العلماء في انتشار الفتنة بآثار الأنبياء والصالحين .

السبب الثالث : الأئمة المضلون :

لا يشك عاقل في خطر الأئمة المضلين ، وكما قيل : الناس علي دين ملوكهم وقد حذر ﷺ الأمة منهم بقوله كما في حديث ثوبان صلي الله عليه وسلم :" إنما أخاف علي أمتي الأئمة المضلين)" [٢] ، وعن زياد بن حدير قال: " قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت لا ، يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين "[٣].

فمثلاً القبة التي علي الصخرة لم تكن موجودة في عهد الصحابة ﷺ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمة الله ــ بل كانت مكشوفة حتى تولي عبد الملك بن مروان الملك فبني القبة علي الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيادة بيت المقدس [٤] . وقال في موضع آخر :" وظهر في ذلك الوقت تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم

---

(١) مجموعة الفتاوى ، (٥١٧/٤) .

(٢) رواه أحمد ، ورقمه (٢١٣٥٩) ، والترمذى (٢٢٢٩) وقال (حسن صحيح) ، وأبو داود (٤٢٥٢).

(٣) سنن الدرامى ، (٢١٦) .

(٤) انظر : مجموعة الرسائل الكبرى ٦٢/٢ .

يكـــن المسلمون يعرفونه بمثل هذا، وجاء بعض الناس ينقل الإسرائيليات في تعظيمها [١] .

وذكـــر الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسي ـــ رحمة الله ـــ:" أنه لما كان عـــام ثمـــان وســـبعين وســـتمائة هجرية أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي والد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ببناء قبة علي الحجرة الـــشريفة ، ولـــم يكن قبل هذا التاريخ عليها قبة ولها بناء مرتفع وإنما كان حظيـــر حول الحجرة الشريفة فوق سطح المسجد ، وكان مبنياً بالآجر مقدار نـــصف قامة بحيث يميز سطح الحجرة الشريفة علي سطح المسجد ،وكان بيناً بالآخر فعملت هذه القبة المجودة اليوم ..." [٢]

والمشاهد لم تكن معروفة في العصور المفضلة ، ولكن ظهرت وكثرت في دولـــة بنـــي بـــوية ، لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار ، مقصودهم تبديل دين الإسلام ، وكان في بوية من الموافقة لهم علـــي بعض ذلك [٣]. وفي دولتهـــم أظهـــر المشهـــد المنسوب إلي علي ﷺ بناحية النجف [٤] .

السبب الرابع : الشبهات التي يتمسكون بها في تسويغ فعلهم :

ومن الأسباب بعض الشبهات التي يتشبث بها أصحاب الأهواء والشهوات ، وهي شبه كبيت العنكبوت في الضعف والوهن ، وكما قيل :

حجج تهافت كالزجاج .:. حقاً وكل كاسر مكسور [٥]

---

(١) الاقتضاء ٢/٨١٠ .

(٢) عمدة الأخبار في مدينة المختار ص ١٢٤ ، وانظر رياض الجنة فى الرد على أعداء السنة ، للشيخ مقبل الوادعى ، ص ٢٧٢ وما بعدها .

(٣) مجموعة الفتاوى (٢٧/١٧٦) .

(٤) المرجع السابق (٢٧/٤٤٦) .

(٥) قاله الخطابى في الرد على المتكلمين ، انظر نقض المنطق ص ٢٦ ، ومجموع الفتاوى ٤/٢٨ ، والحموية ، ص ١١٤ .

فمن تلك الشبة مثلاً قولهم :" إن من التماثيل ما يعد أصناماً وما لا يعد كذلك ، والأولي هي التي تعبد من دون الله ومن ثم فتحريمها مقطوع به علي المسلمين ، أما التماثيل التي لا تعبد فوصفها بأنها أصنام فيه افتئات ينبغي أن يتنزه عنه العقل الرشيد "، واستدل علي هذا التفريق بقوله تعالي : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ: ١٣ فسليمان عليه السلام كانت تضع له التماثيل ، وذكر أنها صور الأنبياء والعلماء [١] .

والجواب علي هذا :

أولاً : أن ما فرق به بين التمثال والصنم لا دليل عليه لعموم النصوص الشرعية ، فالحكم واحد ، سواء جعل للعبادة أو لم يجعل لما رواه الترمذي من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " أتاني جبريل فقال : إني كنت أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه إلا أنه كان في باب البيت تمثال الرجال ، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب ، فمر برأس التمثال الذي بالباب فليقطع فليصير كهيئة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع ويجعل منه وسادتين منتبذتين يوطان ، ومر بالكلب فيخرج ففعل رسول الله ﷺ " [٢].

ومن المعلوم أن هذا التمثال الذي في بيت النبي ﷺ لم يكن متخذاً للعبادة ، ولا يشك في ذلك مسلم ، ومع ذلك فقد أمره جبريل بإزالته . وروى مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير " [٣] .

---

(١) مقال فى صحيفة الشرق الأوسط ، لفهمى هويدى بتاريخ ١٤٢١/١١/٢٤ هـ .

(٢) سنن الترمذي ح (٢٨٠٦) .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب اللباس والزينة ، ح/٢١١٢ .

أمـــا اســـتدلاله بالآيـــة : فقد وضح الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره وغيره أن هذه الآية تدل على أن تصوير التماثيل كان مباحاً في ذلك الزمان ، ونـــسخ بشرع محمد ﷺ [٢] . والنصوص فى تحريم صناعة التماثيل المجسمة كثيـــرة جداً لا يتسع المقام لذكرها وهذا قول جماهير العلماء قاطبة ، بل نقل كثير من المالكية والإجماع على ذلك [٢] .

السبب الخامس : الغلو فى التعظيم [٣] :

وقد جاءت النصوص الكثيرة في التحذير من هذا الداء العضال على سبيل العمـــوم ســـواء كان ذلك في جانب العقيـــدة أو العبـــادة ، يقـــول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٧٧ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ النساء: ١٧١ فهاتان الآيتان وإن كان الخطاب موجه فـــيهما إلى أهل الكتاب فإن أمة محمد ﷺ تدخل فيهما تبعاً [٤] . لأنها قد نهيت

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٧٤) .

(٢) أحكام التصوير في الفقه الإسلامي ، ص ٢٠٨ .

(٣) الفتاوى (١٧/٤٦٠) ، و (٢٧/١٢٤) ، جامع الرسائل (٢/٥٣) .

(٤) فقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحة باب (ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع لقوله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) (النساء ١٧١) : " واستدلاله — أى البخاري بالآية ينبى على أن لفظ أهل الكتاب للتعميم ليتناول غير اليهود والنصارى ، أو يحتمل على أن تناولها من عدا اليهود والنصارى بالإلحاق) ، وانظر : مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٦٠ ، لمحمد الطاهر عاشور .

عـــن اتخـــاذ سبيلهم والسير على منوالهم وإتباع نهجهم ، وهذا واضح غاية الوضوح لمن تتبع الأدلة واستقرأها [١] .

وجـــاء فى حديث الفضل بن العباس أن النبي ﷺ قال : " إياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين " [٢] . قال شيخ الإسلام رحمه الله : " وهـــذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال ، وسبب هذا اللفظ العام رمى الجمار وهو داخل فيه مثل الرمى بالحجارة بناء على أنها أبلغ مـــن الصغار ، ثم علله بما يقتضى بجانبه هديهم أى هدى من كان قبلنا إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به ، وأن المشارك لهم فى بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك " [٣] .

وقـــد بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن سبب شرك بنى آدم هو الغلو فـــي تعظـــيم قبور الصالحين فقال : " والشرك في بنى آدم أكثره عن أصلين : أولهـــا تعظـــيم قـــبول الصالحين ، وتصوير تماثيلهم للتبرك بها ، وهذا لأول الأسباب آلتي بها ابتداع الآدميون ، وهو شرك قوم نوح ." [٤] . وقد ذكر ابن القـــيم أن من أعظم مكائد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس ، وما نجا منها إلا مـــن لـــم يرد الله تعالى فتنته " ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأولياؤه من الفتنة بالقبور ، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله ، وعبدت

---

(١) انظر فـى ذكر الأدلة التي تأمر بمخالفة الكفار والنهى عن التشبه بهم اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٢ ، وما بعده .

(٢)أخرجه النسائى ، ورقمه (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٠٢٩) ، وأحمد (١/٢١٥ ، ٣٤٧) ، والحاكم (١/٤٦٦) ، وابن خزيمة (٤/٢٧٤) ، وابن حبان ، ورقمه (١٠١١) ، والحديث صححه الحاكم وابن خـزيمة وابن حبان وشيخ الإسلام ابن تيمية ، كما في الاقتضاء ص ١٠٦ وقال : " هذا إسناد صحيح علـى شرط مسلم " ، وصححه من المعاصرين العلامة الألبانى فى السلسة الصحيحة ، ورقمه (١٢٨٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص (٢٧٥) ، ويوجد نحوه في الاقتضاء (١/٢٨٩) .

(٤) الرد على المنطقيين ، ص ٢٨٥ ، الفتاوى (١٧/٤٦٠) .

قبورهم ، واتخذت أوثاناً ، وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها ، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل ، ثم جعلت أصناماً ، وعبدت مع الله تعالى ، وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح ، كما أخبر سبحانه عنهم في كتابة ، حيث يقول : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ ﴾ نوح: ٢١ – ٢٤ . قال غير واحد من السلف : " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا علي قبورهم ،ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ". فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل ، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق علي صحته عن عائشة رضي الله عنها " أن أم سلمه رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، يقال لها ماريه ، فذكرت له رأي فيها من الصور فقال رسول الله ﷺ :" أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح ، أو الرجل الصالح ، بنوا علي قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله " [1] فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور ، وهذا كان سبب عبادة اللات ، فقد روي ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ النجم: ١٩ قال رحمه الله : " كان يلت لهم السويق فمات ، فعكفوا علي قبره " وكذلك قال أبو الجوزاء عن أبن عباس رضي الله عنه : "كان يلت السويق للحاج ".

فقد رأيت أن سبب عبادة ود ، ويغوث ويعوق ونسر واللات ، إنما كانت من تعظيم قبورهم ، ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوهم كما أشار إليه النبي ﷺ " [2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، ح/٤٣٤ ، مسلم في كتاب المساجد ، ح/٥٢٨ .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان (١/١٨٣/١٨٤) بتصرف واختصار ، وانظر : زاد المعاد (٣/٤٥٨).

السبب السادس : الحرص علي تحصيل المال والجاه :

فمن ذلك ما ذكر عبد القدوس الأنصاري أن الحجر الذي جلس عليه النبي صلي الله عليه وسلم في مسجد بني ظفر [١] رآه في خزانة زجاجية عالية بمدخل دار الكتب المصرية ، وعلم من المدير العام لها أن شخصاً من أهل المدينة نقله إلي مصر فيما بعد وباعه إلي الدار بثمن كبير [٢].

يقول العلامة الشوكاني رحمة الله تعالي :" وربما يقف جماعة من المحتالين علي قبر ويجلبون الناس بأكاذيب عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور ويستدروا منها الأرزاق ويقتنصوا النحائر ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم ، وعلي من يعولونه ، ويجعلون ذلك مكسبا ومعاشاً وربما يهولون علي الزائر لذلك الميت بتهويلات ، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يتجمع فيها الجمع الجم ، فيبهر الزائر ، ويري ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم علي القرب الميت والتسمح بأحجار قبره وأعواده والاستغاثة به والالتجاء إليه ، وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات ، مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال ونحرهم أصناف النحائر "[٣] .

السبب السابع : التأثر بأصحاب الديانات الضالة :

ومن الأسباب أيضاً اختلاط المسلمين بأصحاب الديانات الأخرى من اليهود ونصارى وغيرهم وهؤلاء عندهم اعتقادات وأباطيل كثيرة ، تأثر بها بعض ضعاف المسلمين ، فتعظيم القبور كان موجوداً عند اليهود والنصارى ، وفي النصارى أكثر وأشد ، قال صلي عليه وسلم :" لعن الله اليهود والنصارى واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ــ يحضر ما صنعوا " [٤].

---

(١) ولا يعنى هذا التسليم بصحة أن هذا الحجر هو الذي جلس عليه النبي ﷺ .

(٢) آثار المدينة المنورة ، ص ١٣١ .

(٣) الدر النضيد ، ص ٩٣-٩٤ .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ، ح/٤٣٥ ، ٤٣٦ ، مسلم فى كتاب المساجد ، ح/٥٣١ .

ولأن النصارى يعيشون بين المسلمين أكثر من غيرهم من أهل الديانات الأخرى كان التأثر بهم أكثر ، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله يذكر أن كثيراً: "من جهال المسلمين ينذرون للمواضع التي يعظمها النصارى ، كما قد صار كثير جهالهم يزورون كنائس النصارى ، ويلتمسون البركة من قسيسيهم ورهبانهم ونحوهم " . (١)

ولو تأملت بعض ما يفعله القبوريون لعلمت أنه امتداد لعادات وثنية كانت سائدة قبل الإسلام : وأول هذه العادات : تقديس الأولياء ، تلك العادة التي لقيت رواجاً سريعاً وعميقاً في نفوس المصريين لارتباطها بطبيعتهم منذ فجر التاريخ ففكرة تشييد المساجد الجميلة فوق أجساد الموتى وتقديسهم تتصل بجذور الفكر الديني المصري منذ العصر الفرعوني ، ولا سندها في القرآن والسنة .." (٢) يقول الشيخ محمد رشيد رضا معقباً علي ما ادعاه أحد مشايخ القبورية في تسويغ اتخاذ القبور والأضرحة واسطة للشفاعة : " هذا عين ما كان يحتج به المشركون الأولون وحكاه الله – تعالي– عنهم ..
وهو ما يفعله النصارى عند قبور القديسين".

ويقول أيضاً :" ولا تظنوا أن الهندوس ليس عندهم كهنة يتأولون لهم بدعهم الوثنية كما تأول هذا العالم الأزهري .. واحتج لهم بأنهم كأنجاس الهند المنبوذين ،ليس لأحدهم أن يتقرب إلي الله تعالي بنفسه بل لابد له من أحد هؤلاء المعتقدين ليقربه إليه زلفى " (٣) .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي : "وكل ما كان يدور حول قبور الأولياء والمشايخ كان تقليداً ناجحاً للأعمال والتقاليد التي كانت تنجز في معابد غير

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٦١/٢٧ .

(٢) الطرق الصوفية بنى الساسة والسياسة ، ص ١٢٨ .

(٣) مجلة التاريخ ٣ ، ٢٣ ، ص ٢١٦ –٢١٨ .

المسلمين وقبور المقدسين عندهم ، فالاستغاثة منهم والاستعانة بهم ، ومد يد الطلب والضراعة إليهم كل ذلك كان عاماً شائعاً بينهم ..." [١] .

ويذكر الشيخ محمد رشيد رضا صورة من هذا التشابه، فيقول :" في بنارس (في الهند) قبر أبي آدم عليه السلام ، وقبر زوجه وقبر أمه ويقال :" إنهم يعبرون بأمه عن الطبيعة " وقبور قضاته " وهي تحت قباب مصفحة بالذهب كقبة أمير المؤمنين علي في النجف ، وقباب غيره .. وجميع هذه القبور تعبد بالطور حولها ، والتسمح بها ، وتلاوة الأدعية والأوراد عندها، كغير من تماثيل معبوداتهم ، مع الخشوع وبذل الأموال والنذور لها ولسدنتها وكهنتها ، فلا يحسبن الجاهل بالتاريخ وبعقائد الملل والنحل أو التعبدات فيها أن علماء وثني الهند يعتقدون أن هذه الأشياء تنفع وتضر بنفسها ، وأنهم ليس لهم فلسفة في عبادتها"[٢] .

بهذا يتبين أن اختلاط المسلمين بغيرهم ، ومساكنتهم لهم ودخول كثير منهم في الإسلام مع بقاء العادات الجاهلية سبب من الأسباب التي أدت إلي انتشار الاهتمام بالآثار .

هذه بعض الأسباب التي أدت إلي انتشار الاهتمام بالآثار والبحث عنها في بلاد الإسلام حتى عمت البلوى بها في كل مكان حتى لا تكاد تري من يسلم من ذلك إلا من وفقه الله لسلوك سبيل المؤمنين الموحدين .

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص ٧٨٠ .

(٢) مجلة المنار ج٣ ، م ٣٣ ، ص ٢١٦-٢١٨ ، نقلاً عن مجلة البيان عدد ١٣١ ، ص ٨١ .

المبحث الثاني : أثر الدعوة إلي تعظيم الآثار علي الأمة الإسلامية

ويشمل ثلاثة أمور :

أ) عودة المظاهر الشركية :

ويقـــول الآثاريون المتمكنون أن غرضهم من نصب التماثيل في الميادين هـــو إظهـــار حضارة الأجداد وتأمل فنونها ، وأنه ليس لقصد العبادة ، إلا أن كثيـــر من أرباب هذا الفكر لا يسمون كثير من هذه التماثيل إلا بالآلهة ، حيث أوردوا لها قصصا خيالية ، وأساطير خرافية تبين مجد هذه التماثيل وقوتها

والمقـــصود ربط المسلمين بأمجاد الأحجار بجميع الروابط الممكنة وبيان أهميتها وكيف كانوا يمجدون هذه الأحجار ويرفعون قدرها وشأنها . ولا يخفي أثر التماثيل والصور في هدم التوحيد الخالص .

كمـــا اســـتخدم علم الآثار لا ثبات نظرية التطور ، وفي ذلك إنكار لتوحيد الربوبية إذا فيه إنكار وجحد أفعال الله وأن غيره هو الذي فعل الأفعال التي لا يفعلهـــا إلا هو سبحانه كالخلق ، يقول بعض الآثاريين : إن علم الآثار يكشف كيفية التطور الإنساني [١] .

كمـــا أن الآثار يستغل لترويج العلمنة والإلحاد ، ولكثير من القائمين علي الآثـــار طـــرق شتي للوصول إلي ذلك الهدف مثل : أن الآثار تبحث عن تطور البـــشر كمجمـــوعات وسلالات وأصول وأجناس ، نشأ من حيوان أقل إلي أن يتـــرك فـــي دركـــات الانحطاط بوصفه ناشئ من جرثومة حقيرة ،إلي آخر ما يقولون ممد يعنى إنكار الخالق سبحانه وتعالي.

وكذلك إحاطة تلك التماثيل المستخرجة بهالة من التحليلات والاستنتاجات التي تعنى التقديس والعبادة [٢] .

---

(١) رسالة تعظيم الآثار ، حيث ذكر فيها الباحث جملة كثيرة من المراجع الدالة على ذلك مثل الموسوعة الأثرية العالمية تأليف العالم من علماء الآثار إشراف ليونارد كويل ص (١٤) .

(٢) تعظيم الآثار والمشاهد ص (٣٣٠-٣٤١) .

يقـــول (جثـــري موغاوث) : "أن كل التاريخ الماضي المفترض هو ماض يقوم علي الأسطورة والخرافة قبل إدراك أهمية الدليل الأثري "[١] .

وفـــي هـــذا الكـــلام نسف لأدلة الشرع المعتبرة من الكتاب والسنة والتي تعتمد علي التسليم والتوقيف ولا تعمد الحس .

ب) زعزعة الولاء والبراء لدي المسلمين :

لقـــد ســـاعد علم الآثار علي زعزعة الولاء من كونه للإسلام والمسلمين ووجهه إلي تلك الوثنيات المحلية المتواجدة في كل بلد ، حتى أصبح هذا الأمر حقيقة واقعية في كثير من بلاد المسلمين .

ويذكـــر د.محمد قطب قول أحدهم : " إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يريد المـــسلم إلي عقائد ما قبل الإسلام ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين الحضارات "[٢].

وقـــال أحدهم أيضاً وهو المستشرق (جب) : ولاشك أن العاطفة والولاء عـــند المـــسلم كـــل مـــا اتجه للوطن يضعف بناء المجتمع المسلم وإن ضعف المجتمع المسلم انتصار حاسم لقوي أوربا [٣].

ثم إن تعظيم الحضارات من وثنية وفرعونية وآشورية وكلدانية وفينيقية وهندوكية وتقديمها علي الإسلام والتفاخر ومحبتها وبناء الروابط بموجبها كل فـــيما يخـــصه منها ، هذا هو صرف الولاء لها والبراء من أجلها ، فلا تكون الهيمنة في قلوب المسلمين للإسلام بقدر ما في لذلك والتاريخ الوثني الجاهلي وأمجاده المزعومة .

---

(١) التاريخ الموجز لعلم الآثار / لجيف دانيل ، ص ٢٠.

(٢) واقعنا المعاصر ص ٢٠٢ . .

(٣) وجهة الإسلام ل هـ جب ، ص ٢٩ ، نقلا عن تعظيم الآثار والمشاهد ص (٣٢١) .

إن اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون) [١] في مصر والذي جاء بدعم من بعض الدوائر الأوربية في مصر وغيرها من آثار الفراعنة شجع علي إذكاء روح الاعتزاز بالحضارة الفرعونية والانتساب إليها والافتخار بها .

وحديث مثل هذه النتائج أيضا في إندونيسيا بسبب العثور علي الحضارة الهندوكية الجاوية .وربما تحدث آثار الحضارة السومرية أو البابلية تأثيرا كهذا في العراق [٢] .

والله تعالي يقول : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ البقرة: ١٦٥ قال ابن كثير رحمة الله : يذكر تعالي حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم حبه وهو الله لا إلا هو [٣] .

وحال الآثاريين أنهم يدعون المسلمين إلي موالاة الطغاة والكافرين الأقدمين ومحبتهم ومحبة بقاياها بحجة أنهم في أرضنا ، وهم البعداء عنا ديناً ونسباً ، فكيف يتم الإيمان والمؤمن لا يكون مؤمنا إذا كان يود ويحب من حاد الله ورسوله ولو كان ذلك المحادّ لله ورسوله من آبائه أو أبنائه أو إخوانه أو عشيرته كما قال تعالي : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ

---

(١) توت عنخ آمون : أحد فراعنة مصر القديمة وآلهة الفراعنة من الأسرة الثامنة عشرة [حوالى سنة ١٣٥٤-١٣٤٥ ق.م] .

(٢) وجهة الإسلام لـ جب ، ص ٢٢٢ ، نقلاً عن تنظيم الآثار والمشاهد ص (٤٠٩) .

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٠٢ ، ومن المناسب هنا ذكر بعض الآيات المحذرة من موالاة الكافرين مثل قوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) آل عمران ٢٨ ، وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ...) إلى قوله (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) المتحنة ١ ، وغيرها من الآيات.

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢

ومن المعلوم أيضا : أن الله تعالي قطع ما بين نوح عليه السلام وابنه الكافر وما بين إبراهيم عليه السلام وأبيه الكافر .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي ــ رحمة الله تعالي ــ إن نبش الآثار وإظهارها ليطلب به الآثاريون ومن سايرهم العزة والمجد والتقدم ويطلبونها من مزابل الوثنية:أصنام وصور ،وإن محبتها ومودتها والاعتزاز بها والافتخار بها بمآثرها أيا كانت لهي من الشرك والكفر بمكان [١] .

جـ ــ الدعوة إلي القوميات والعنصريات :

إن عدم وجود التمييز العنصري بين المسلمين هو أحد أبر الإنجازات الأخلاقية للإسلام ، وهذا ما لا يريده الإفرنج إذ يقول أحد ساسة الغرب :

أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية . [٢]

ولقد أدرك كثير من الساسة فعل الآثار في ترسيخ الوطنية وجعلها جامعة يلتقي عليه وحولها أبناء الوطن علي تعدد واختلاف نحلهم وأفكارهم وعقائدهم وفي هذا هدم للإخاء الإسلامي وعلي سبيل المثال فإن (هتلر وموسوليني)كل منهما فهم جيدا مدي اجتذاب الماضي للمواطنين وعهدوا إلي من أسموهم علماء ودارسين لاستخراج دعاوي باطلة حول منجزات للألمان القدماء والرومانيين [٣] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٩٧/٢ .

(٢) لورانس العرب على خطى هرتزل [تقارير لورانس السرية] ص ٧٠ ، ١٠١ ، نقلاً عن تعظيم الآثار والمشاهد ص ٤٢٢.

(٣) رجال الآثار / لروبرت ج ، ص ١٠ ، نقلا عن تعظيم الآثار والمشاهد ص ٤١٩ .

ثـم نقـل ذلك إلي المسلمين ونشر بينهم وكثر دعاة القومية والعنصرية الوطنية يركزون علي الآثار الجاهلية كقول بعضهم : إن أول ما نحتاج إليه في تحقيق النهضة التي نصبوا إليها هو الالتفات إلي تاريخنا وتراثنا [١].

ويقـول (ماسـينيون): إن لـبلاد المغرب زعماؤها الذين يريدون سيادة الجنس البربري . [٢]

ويـسري هـذا علـي غيـرها مـن البلاد فالمصريون أحفاد الفراعنة ، واللبنانيون أحفاد الفينيقيين ، العراقيين أحفاد البابليين والآشوريين وهكذا في بقية شعوب المسلمين وآثار بلدانهم وانتسابهم واعتزازهم بها حتى سرت هذه الدعوى في كثير من بلاد المسلمين .

يقـول (وليام كامدن): إن دراسة علم الآثار يلازمها دائما شعور بالعزة وارتباط بالسرمدية وهي غذاء دسم يليق بخلق قويم وسام [٣] .

ولعل كل ذلك علي رغبة الغرب في تفويق المسلمين وتناحرهم فيما بينهم ثـم تحطـيم معنوياتهم وزرع قابلية الهوان والخضوع لعدوهم وذلك بخداعهم كعـرب أن بلادهـم كانت محكومة من قبل أسلاف الغرب وأنه لا غضاضة في ذلك هو شرف ومزية ،وذلك من خلال تعظيم الآثار [٤].

---

(١) تعظيم الآثار والمشاهد ص ٤١٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١٩ ، نقلاً عن كتاب [ماسنيون امبراطورية إيلا] ص ٧.

(٣) التاريخ الموجز لعلم الآثار / ل جب دانيل ص ٢٩ .

(٤) تعظيم الآثار والمشاهد ص ٤٣٠ .

المبحث الثالث : منهج الرسول ﷺ ومن بعده وموقفهم من الاهتمام بالآثار

من خلال تتبع بعض الأحداث يتبين لنا منهج رسول الله ﷺ فمن ذلك :

١- الأماكن التي زارها النبي ﷺ قبل البعثة لم يرد دليل واحد علي أن النبي ﷺ وقصد زيارتها أو أمر بزيارتها أو حدث علي الاهتمام بها ونحو ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية" فإن النبي ﷺ بعد أن أكرمه الله بالنبوة لم يكن يفعل ما فعله قبل ذلك من التحنث في غار حراء أو نحو ذلك وقد أقام بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة ، وأتاها بعد الهجرة في عمرة غزوة الفتح وفي عمرة الجعرانة ولم يقصد غار حراء وكذلك أصحابه من بعده، ولم يكن أحد منهم يأتي غار حراء ، وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر، عرفه ومزدلفة ومنى مثل جبل حراء عند منى الذي يقال إنه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك ، فإنه ليس من سنة رسول الله ﷺ زيارة شئ من ذلك بل بدعه " .

٢- عندما فتح النبي ﷺ مكة وطاف بالكعبة كسر الأصنام التي حول الكعبة كلها كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثة مائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول ﷺ " جاء الحق وزهق الباطل " الإسراء ، وهذه الأصنام تعتبر من الآثار التي يحافظ عليها في مثل هذا الزمن ، فلماذا لم يحافظ عليها الرسول ﷺ ويعتني بها ويجعلها في متحف ونحوه .

موقف السلف من الآثار

١- مواقفهم من آثار النبي ﷺ.

٢- موقفهم من قبره .

٣- موقفهم من مشاهدة ومقاماته .

٤- موقفهم من آثار الأمم البائدة والمعذبة.

أولاً : موقفهم من آثار النبي ﷺ.

وردت أحاديث وآثار تفيد أن الصحابة كانوا يتبركون بآثار النبي ﷺ ومنها :

- عن سهل رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبي صلي الله عليه وسلم ببردة منسوجة فيها حاشيتها أتدرون ما البردة الشملة قال نعم ، قالت نسجتها بيدي فجئت لأكسوها فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فحسنها فلان فقال أكسنيها ما أحسنها قال القوم ما أحسنت لبسها النبي ﷺ محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد قال أني والله ما سألته لألبسه إنما سألته لتكون كفني قال سهل فكانت كفنه . (١)

- عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي ﷺ نزل عليه النبي ﷺ في السفل وأبو أيوب في العلو فانتبه أبو أيوب ليلة فقال نمشي فوق رسول الله ﷺ فتنحوا فباتوا في جانب ثم قال للنبي ﷺفقال النبي ﷺ السفل أرفق لا علو سقيفة أنت تحتها فتحول النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفل فكان يضع للنبي ﷺ طعاما فإذا جئ به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه (٢) .

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال كنت عند النبي ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه وعن يساره الأشياخ فقال للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء

---

(١) البخارى (١١٩٨) الفتح (١٠/٤٦٠) .

(٢) أخرجه مسلم رقم (٣٨٢٨) ، شرح النووي (١٤/٢٥٤) .

فقال الغلام لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا فتله رسول ﷺ في يده [١] .

- عن أبي موسى ﷺ قال كنت عن النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال فأتي النبي ﷺ أعرابي فقال ألا تنجز لي ما وعدتني فقال له أبشر فقال قد اكترت علي من أبشر فأقبل علي أبي موسى وبلا كهيئة الغضبان فقال رد البشري فأقبلا أنتما قالا قبلنا ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ثم قال اشربا منه وأفرغا علي وجوهكما ونحوركما وأبشرا فأخذا القدح ففعلا فنادت أم سلمه من وراء الستر أن أفضلا لأمكما فأفضلا لها منه طائفة .
- عن جابر قال : جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلالة فنزلت آية الفرائض [٢] .
- عن عثمان بن عبد الله بن وهب قال أرسلني أهلي إلي أم سلمه زوج النبي ﷺ بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة شعر من شعر النبي ﷺ وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شئ بعث إليها مخصبة فأطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا [٣] .
- عن عبد الله مولي أسماء بنت أبي بكر قال أرسلتني أسماء إلي عبد الله بن عمر فقالت بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة العلم في الثوب وميثرة الأرجوان وصوم رجب كله فقال لي عبد الله أما ما ذكرت من رجب فكيف بمن يصوم ألبد وأما ما ذكرت من العلم في الثوب فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إنما يلبس الحرير من لا خلاق له فخفت أن

---

(١) البخارى (٣٩٨٣) ، الفتح (١٤٢/٧) ، ومسلم (٧٧٧) شرح النووي (٢٧١/١٦).

(٢) رواه البخاري حديث ١٨٧ ، وانظر : الفتح ٣٦٠/١.

(٣) رواه البخارى حديث ٥٤٤٦ . وانظر : الفتح ٣٦٤/١٠.

يكـــون العلم منه وأما ميثرة الأرجوان فهذه ميثرة عبد الله فإذا هي أرجوان فرجعت إلي أسماء فخبرتها فقالت هذه جبة رسول الله ﷺ فأخرجت إلي جبة طيالـــسة كـــسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج فقالت هذه كانـــت عـــند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي ﷺيلبسها فنحن نغسلها للمرضي يستشفي بها [١] .

ثانياً : موقفهم من قبره ﷺ :

لقـــد امتثل السلف الصالح ما أمرهم به النبي ﷺ تجاه قبره ﷺ فعن عائشة رضـــي الله عنها أن النبي ﷺ أنه قال في مرضه الذي مات فيه لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا قالت ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشي أن يتخذ مسجداً . [٢]

فلم يثبت عن القرون الثلاثة من الصحابة ﷺ، أو التابعين أو أتباعهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين أنهم تبركوا بقبر الرسول ﷺ أو أنهم أمروا بذلك بل كانوا ينهون عنه [٣] .

قال ابن تيمية :

" وكـــان الصحابة والتابع ـــ لما كانت الحجرة منفصلة عن المسجد إلي زمن الوليد ابن عبد الملك ـــ لا يدخل أحد إليه ، لا لصلاة هناك ، ولا تمسح بالقبر، ولا دعاء " [٤] .

---

(١) رواه مسلم حديث ٣٨٥٥ وانظر النووى ٢٨٨/١٤ .

(٢) رواه البخاري حديث ١٢٤٤ ، ومسلم حديث ٨٢٤ .

(٣) انظر التبرك : ٣٣٢ .

(٤) الفتاوى ٢٧١/٢٧ .

قال ابن حجر :

" قــوله لأبرز قبره أي لكشف قبر النبي صلي الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحائلــة والمــواد الدفن خارج بيته وهذا قالته عائشة قبل أن يوسع المسجد النبوي ولما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتي لأحد أني يصلي إلي جهة القبر مع استقبال القبلة [١] .

قـــال النووي :

" يكــره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ، وينبغى أن لا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك [٢].

ثالثاً : موقفهم من مشاهده ومقاماته :

أما مشاهده ومقاماته فهي على ثلاثة أقسام :

أ- مــا كــان منها بعد البعثة وقد قصده بالعبادة ، عنده كتقبيل الحجر الأسود واتخاذ مقام إبراهيم مصلى ووقوفه بعرفة وصلاته في مسجد قباء.

فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد عملوا مثل عمله عند تلك المقامات والآثار بقصد التعبد لله والإتباع لرسوله ﷺ كما جاء ذلك فى آثار كثيرة عنهم منها :

١- عن عباس بن ربيعه عن عمر ﷺ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إنــي أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك [٣].

---

(١) فتح البارى ٣/٢٠٠ .

(٢) قال ابن تيمية : (وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الإسلام والتقبيل لمقام إبراهيم الذى ذكره الله تعالى فى القرآن (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فإذا كان هذا بالنسبة المتواترة ، وباتفاق الأئمة لا يشرع تقبيلها بالفم ، ولا مسحه باليد فغيره من مقامات الأنبياء أولى أن لا يشرع تقبيلها بالفم ، ولا مسحها باليد) ، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٠٨-٨٠٩).

(٣) رواه البخاري حديث ١٤٩٤ ، ومسلم حديث ٢٢٢٨ . وانظر الفتح ٣/٥٨٠ .

٢- عـن يـزيد بن أبى عبيد قال كنت آتى مع سلمة بن الأكوع فيصلى عند الاسـطوانة التي عند المصفح قلت يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة قال فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها [١] .

٣- عـن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبي ﷺ يأتـي مـسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً وكان عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يفعله [٢] .

ب- وأما ما كان من آثاره ومقاماته التي لم يكن يقصدها للعبادة كصلاته في أسفاره .

فالمشهور عند العلماء في هذه المسألة قولان :

١- النهـى عـن ذلك وكراهته ، وأنه لا يستحب قصد بقعة للعبادة ، إلا أن يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع مثل مقام إبراهيم .

٢- أنه لا بأس باليسير منه [٣] ، كما ورد ذلك عن ابن عمر :

أ- عن موسى بن عقبة قال رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أمناكن من الطريق فيصلى فيها ويحدث أن أباه كان يصلى فيها وأن رأى النبي ﷺ يصلى فى تلك الأمكـنة وحدثنـي نافع عن ابن عمر أنه كان يصلى في تلك الأمكنة وسألت سـالماً فـلا أعلمه إلا وافق نافعاً في الأمكنة كلها إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء. [٤]

ب- عـن سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه رئي وهو في معرس بذي الحليفة ببطن الوادي قيل له إنك ببطحاء مباركة وقد أقام بـنا سالم يتوخى بالمناخ إلى كان عبد الله ينيخ يتحرى معرس رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخارى حديث ٤٧٢ ، ومسلم ٧٨٨ .

(٢) رواه البخارى حديث ١١١٨ ، ومسلم حديث ٢٤٨٤ .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧٥٠ .

(٤) رواه البخاري حديث ٤٦١ .

وهو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي بينهم وبين الطريق وسط من ذلك . (١)

قال ابن حجر :

" ومحصل ذلك أن بن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن وتشدده في الإتباع مشهور ولا يعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان فسأل عن ذلك فقالوا قد صلى فيه النبي ﷺ فقال من عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض فإنما هلك من أهل الكتاب لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعا أن لك من عمر محمول على أنه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة أو خشي أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنه واجباً وكلا الأمرين مأمون من بن عمر " (٢) .

جـ- وأما ما كان منها قد تكره كغار جراء وغار جبل ثور فإن النبي ﷺ لم يشرع لأمته السفر إليه وزيارته والصلاة فيه والدعاء .

ولذلك لم يكن أحد من الصحابة يلتفت إلى شيء من ذلك وكانوا أعلم بسنته وأرغب فيها ممن بعدهم .

قال ابن تيمية :

" فلما لم يكونوا يتلفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة ، التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة ، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم ، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله " (٣) .

" وحج ﷺ ومعه جماهير المسلمين ... فلا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء ولا يزوره ، ولا شيئاً من البقاع التي حول مكة "(٤) .

---

(١) رواه البخاري حديث ١٤٣٧ ، ومسلم ٢٤٠ .

(٢) فتح الباري ٥٦٩/١ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٠٧/٢ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٠٦/٢ .

" والمسجد الحرام هو المسجد الذي شرع لنا قصده للصلاة والدعاء والطواف وغيـــر ذلـــك من العبادات ، ولم يشرع لنا قصد مسجد بعينه بمكة سواه ، ولا يـــصلح أن يجعـــل هـــناك مسجد يزاحمه في شيء من تلك الأحكام ، وما يفعله الرجل في مسجد ومن تلك المساجد ، من دعاء مصلاة وغير ذلك ، إذا فعله في المـــسجد الحـــرام كان خيراً له ، بل هذا سنة مشروعة ، وأما قد مسجد غيره هناك تحريا لفضله فبدعة غير مشروعة . (١)

رابعاً : موقفهم من آثار الأمم البائدة والمعذبة :

أ- أما موقفهم من آثار الأمم البائدة فقد طبقوا فيها ما أمرهم النبي ﷺ فى قوله وفعله :

١- عـــن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال لما مر النبي ﷺ بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادى .

٢- عـــن نافـــع أن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أخبره أن الناس نـــزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر فاستقوا من بئرها واعتجنوا به فأمـــرهم رســـول الله ﷺ أن يهر يقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل والعجين وأمرهم أن يسقوا من البئر التي كانت تردها الناقة تابعة أسامة عن نافع .

فنهـــى رسول الله ﷺ عن الدخول إلى أماكن المعذبين إلا مع البكاء خشية أن يصيب الداخل ما أصابهم ونهى عن الانتفاع بمياههم حتى أمرهم مع حاجتهم في تلك الغزوة وهى غزوة العسرة وهى أشد غزوات كانت على المسلمين أن يعلفوا النواضح بعجين مائهم .

---

(١) أخـرج ابـن سعد في الطبقات عـن نافع فقال : كان الناس يأتون الشجرة التى يقال لها شجرة الرضـوان ، فيـصلون عـندها ، قـال فـبلغ ذلـك عمـر بـن الخطـاب فأوعـدهم فيها وأمر بها فقطعت الطبقات ١٠٠/٢ ، وصححه ابن حجر في الفتح ٤٤٨/٧ .

وعلي ﷺ مر ببابل وهو يسير فجاء المؤذن بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال إن حبيبي النبي ﷺ نهاني أن أصلى في المقبرة ونهاني أن أصلى في أرض بابل فإنها ملعونة .

وقوله : (نهاني أن أصلى في أرض بابل فإنها ملعونة) ، يقتضى أن لا يصلى في أرض ملعونة والحديث المشهور في الحجر يوافق هذا فإنه إذا كان قد نهى عن الدخول إلى أرض العذاب دخل في ذلك الصلاة وغيرها من باب أولى.

ب- إن المسلمين لما فتحوا تستر وجدوا هناك سرير ميت باق ذكروا أنه لدانيال ووجدوا عنده كتابا فيه ذكر الحوادث ، وكان أهل تلك الناحية يستسقون به، فكتب في ذلك أبو موسى الأشعرى إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ثم يدفن بالليل في واحد منها ، لئلا يفتتن الناس به .

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " لم تدع الصحابة في الإسلام قبرا ظاهراً من قبول الأنبياء يفتتن به الناس ولا يسافرون إليه ولا يدعونه ولا يتخذونه مسجدا ، بل قبر نبينا ﷺ حجبوه في الحجرة ومنعوا الناس منه بحسب الإمكان إن كان الناس يفتتنون به وإن كان لا يفتتنون به فلا يضر من معرفة قبره .

ولقد أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان خشية الفتنة بها .

إن قارئ التاريخ يرى بعد دخول عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر لم تذكر كتب التاريخ والتراجم والسير أن أحدا منهم زار الأهرامات مع أنها تعتبر معلماً من معالم مصر فضلا عن الاهتمام بها وتشيدها ولم من العلماء زار مصر وعاش بها فهل نقل أن أحدا منهم زار تلك الآثار .

قال أبو على الأوقى : سمعت أبا طاهر السلفى يقول : " لي ستون سنة بالإسكندرية ما رأيت منارتها إلا من هذه الطاقة وأشار إلى غرفة يجلس فيها مع أنها معلم من معالم الإسكندرية ".

خاتمة

لقـد كان هدى السلف الصالح الاهتمام بالآثار الفعلية والقولية من أقوال المـصطفى ﷺ ولا أدل على ذلك من هذه الكتب التي تزخر بالكثير من الآثار الفعلـية والقولية ، فأفنوا أعمارهم من أجل المحافظة عليها ، وقطعوا القفار وكابدوا مشقة الأسفار ، وأوصلوا الليل بالنهار ، كل ذلك جمعاً لآثار النبي ﷺ وتدويـنها لـيعمل بها ، وبلغ من حرصهم على تتبع آثاره أن ينقل إلينا حتى شـئون النبي ﷺ الزوجية في غسله ووضوئه ، في أكله وشربه ، في نومه واستيقاظه في كل شيء .. الخ .

هـذا كـان دينهم ، وتلك كانت مهمتهم ، فلم يكن معروف عنهم تتبع الآثار المكانية والعينية والاهتمام بها وتشيدها أو عمل مزارات .

ويقـول الشيخ ابن باز " معلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ أعلم الناس بدين الله وأحبهم له ﷺ وأكملهم نصحا لله ولعباده ولمن يحيوا هذه الآثار ، ولو كان إحياؤها أو زيارتها أمرا مشروعاً لفعله النبي ﷺ في مكة وبعد الهجرة أو أمر بذلك أو فعله أصحابه أو أرشدوا إليه .